أهداف الاستشراق في ضرب الشخصية الإسلامية وتفتيت الوحدة الوطنية بالأمس واليوم ودور المؤسسات الدينية وغيرها في التصدي له.

أ/حورية تاغلابت

تاريخ الإرسال: 2018/11/3 تاريخ القبول:2019/2/27
تاريخ النشر:2019/06/30

ملخص:
بعدما أعلن الجنرال دوماس قائلا أنه: "كلما تعمقنا في الحفر وجدنا تحت القشرة الإسلامية التي تغطي البربرين رحيقا مسيحيا وعند ذلك ندرك بأن القبائلي الذي كان في القديم مسيحيا لم يتحول كلية إلى دينه الجديد"، تبينت الأغراض التي حملها الحقد الصليبي الكامن في قلوب هؤلاء على الإسلام والفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي، والذي ندرك من خلاله البعد الديني للحملة الاستعمارية على بلادنا، وسعيها في ترسيخ دعوى الأصول الرومانية المسيحية للجزائريين، ووجوب إعادتهم إلى حظيرة النصرانية من جديد، وذلك باستخدام العديد من الأساليب وعلى رأسها دراساتهم الاستشراقية عن الجزائر جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا وإعادة تشكيل المجتمع الجزائري وفق أهدافهم الاستعمارية، وتفتيت الوحدة الوطنية للجزائريين وإلغاء شخصيتهم الإسلامية. لذلك جاء هذا البحث لتسليط الضوء على أغراض المستشرقين إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر والوسائل المستخدمة في ذلك، ويطرح إشكاليته المتمثلة فيما يلي : هل توقفت أغراض المستشرقين عند ذلك الحد أم مازالت تنسج خيوطه البديلة ؟ وما هي وسائله في ذلك ؟ وما هي طرق التصدي له؟
الكلمات المفتاحية: الاستشراق- الاحتلال- الشخصية الإسلامية– الوحدة الوطنية

Abstract:
The General Dumas declared that: "the deeper we dig, we found under the Islamic veneer, which covers the Berbers, Christian nectar and then we realize that the tribal who was in the old Christian did not completely turn to his new religion "
After that statement, the real intentions of the Crusader hatred against the Islam and the Islamic conquest on Maghreb countries were revealed, through which we deduce the religious dimension of the colonial campaign against our country, by seeking to consolidate the Christian Roman assets of the Algerians and the need to return them again to the Christianity fold. This is done by using many methods, especially their Orientalist studies on Algeria, geographically, historically and socially in order to reshape the Algerian society according to their colonial goals .
In addition to fragmenting of Algerians' national unity and abolishing their Islamic personality.
Therefore, this research came to shed light on the orientalists' real intentions during the French occupation of Algeria and the means used in to achieve them. It raises the following question: Are the orientalists' real intentions stopped at that limit or their alternative threads still woven? What are their means? And what are the ways to tackle those challenges?
Key Words: Orientalism - Occupation - Islamic Personality - National Unity

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة:

بعد أن قرأنا إعلان الجنرال دوماس القائل: "كلما تعمقنا في الحفر وجدنا تحت القشرة الإسلامية التي تغطي البربريين رحيقا مسيحيا وعند ذلك ندرك بأن القبائلي الذي كان في القديم مسيحيا لم يتحول كلية إلى دينه الجديد"[1]، أدركنا البعد الديني للحملة الاستعمارية الفرنسية على بلادنا، ومساعيهم الحثيثة في ترسيخ فكرة الأصول المسيحية في أذهان الجزائريين، ودعوتهم للرجوع من جديد إلى حظيرة النصرانية ونبذ الإسلام، نرى ما تحمله هذه المقولة من حقد صليبي لطالما ملأ قلوب هؤلاء على الإسلام والفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي، وما استخدمه هؤلاء من الأساليب لتحقيق ذلك، وعلى رأسها دراساتهم الاستشراقية عن الجزائر جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا، ومحاولة إعادة تشكيل المجتمع الجزائري وفق أهدافهم الاستعمارية، وتفتيت الوحدة الوطنية للجزائريين وإلغاء شخصيتهم الإسلامية، وإثارة الشبهات المختلفة حول الفتح الإسلامي.

ولكن تجدر هذا الدين في قلوب الجزائريين وتماسك اللحمة الجزائرية حال دون هذه المحاولات المغرضة، وفهم الشعب الجزائري حقيقة ما يروم إليه هذا المحتل الصليبي من خلال الوعي الذي كانت تنشره المؤسسات الدينية في أوساطهم، فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على أغراض المستشرقين وأهدافهم إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر والوسائل المستخدمة في ذلك، وتصدي مختلف الأطراف الواعية في بيان ذلك، وليطرح إشكاليته المتمثلة فيما يلي: هل توقفت أغراض المستشرقين عند ذلك الحد أم مازالت تنسج خيوطه البديلة؟ وما هي وسائله في ذلك؟ وما هي طرق التصدي له؟ ويهدف إلى بيان أن العداء الصليبي للإسلام لم يتوقف ولايزال يبث سمومه بمختلف الوسائل والطرق، وهدفنا هو الدعوة إلى وجوب اليقظة الدائمة ونشر الوعي في الأوساط المختلفة لتوقي شرورهم. وللإجابة عن هذه الإشكالية بنيته على خطة متكونة من مقدمة ومطلبين وخاتمة.

عرض:

المطلب الأول: أهداف الاستشراق إبان الاحتلال، أساليبه، ودور المؤسسات الدينية في مقاومتها

الفرع الأول: البعد الديني للحملة الفرنسية على الجزائر

الاستشراق الفرنسي جزء لا يتجزأ من حركة الاستشراق العالمي، تم التركيز عليه منذ الأيام الأولى للحملة الفرنسية على الجزائر، يبرهن له بالبيان الذي وجه إلى الجزائريين عشية الاحتلال، ومعاهدة تسليم مدينة الجزائر[2]. ذلك البيان الذي أظهر مكر المستشرقين الفرنسيين؛ الذين توصلوا في دراساتهم إلى أهمية الدين الإسلامي في نفوس الشعب الجزائري، فأوصوا الهيئات المخططة لعملية الاحتلال بضرورة أن يحمل أول بيان إلى هذا الشعب إشارة إلى دينهم، وعلى رأس هؤلاء المستشرقين "سلفستر دي ساسي"[3] الذي ساهم في ترجمة هذا البيان إلى اللغة العربية[4].

ليركز في هذا البيان على الدين الإسلامي، واحترام فرنسا لهذا الدين على حد زعمهم ليجيء ظاهريا حاملا وعدا للجزائريين باحترام معتقداته الدينية وأماكن العبادة فيها، ومما جاء فيه: "...ثم إننا نضمن لكم أيضا ونعدكم وعدا حقيقيا مؤكدا غير متغير، ولا متأول أن جوامعكم ومساجدكم لا تزال معمورة على ما هي الآن عليه وأكثر، وأنه لا يتعرض لكم أحد في أمور دينكم وعبادتكم، فإن حضورنا عندكم ليس لأجل محاربتكم وإنما قصدنا محاربة باشتكم الذي بدأ وأظهر علينا العداوة والبغضاء"[5].

ذلك الوعد الكاذب الذي ما لبث أن ظهرت حقيقته في سعيهم للقضاء عليه وطمس أبرز معالمه وذلك من خلال هدم المساجد والمدارس[6]، كل ذلك لمحو الشخصية الجزائرية؛ إذ بعد أن توصلت جل الدراسات التي أجراها المستشرقون إلى أهميته،وأنه يمكنه القيام بدورين متناقضين بالنسبة لهم:

1-فهو إما أن يكون عامل استقرار وتثبيت، يمكن استخدامه في إطار إخضاع الشعب للسيادة الفرنسية مرحليا، باعتماد أسلوبين وهما:

1-إما استخدامه واستغلاله في عملية إخضاع الشعب الجزائري وتهدئته، أو الاستعانة بفتاوى تخدم أغراضهم يسطرها بعض العلماء ممن يوالونهم.

2- وإما أن يكون له الدور المهدد للمصالح الفرنسية في الجزائر، وهنا يجب محاربته والقضاء عليه بمختلف الوسائل التي سأوردها في الفرع الموالي بعض هذه الأساليب والوسائل، حتى نقف على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مساهمات هؤلاء في خدمة الاحتلال وتوجيه المستعمر في مخططاته التي استخدمها هؤلاء في إخضاع الجزائريين واستمالة قلوبهم لتقبل الاستعمار.

الفرع الثاني: أساليب الاستشراق الفرنسي ومحاولة عزل الجزائر عن الموروث الحضاري.

ساهم المستشرقون في خدمة الاستعمار بتقديم المساعدات، وتسهيل المهمات، من خلال القراءات والكتابات المتعددة التي قاموا بها عن المستعمرات التي دخلوها، ولذلك لم يجد المستعمر الفرنسي صعوبة في التخطيط لما يحقق أهدافه الاستعمارية، لأن المستشرقين كفوه في كثير من الأحيان مئونة البحث عن الوسائل والأساليب المعينة في ذلك، بما قاموا به من دراسات شاملة للمجتمع الجزائري: الأرض وساكن الأرض وتاريخ كل منهما، وكذا التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري.[7]

أ-دراسة العنصر البشري: واهتمام هؤلاء بهذا العنصر ليس لجعله مواطنا فرنسيا يسعون للرقي به، بل جاء أساسا يحمل فكرة مسبقة وعقلية غربية متكبرة وما تحمله من نظرة دونية تجاه هذا الجزائري (البربري الهمجي)[8]، فهدفهم الأولي هو العمل على تدميره على المدى البعيد قبل تدمير المكان الذي يوجد به، وتدمير الروح قبل تدمير الجسد، بتسريب اليأس لديه وتكسير عزائمه وإشعاره بالضعف وإقناعه بسياسة الأمر الواقع والرضا بما هو فيه وأنه وجد لخدمة هذا المستعمر..فقاموا بالتركيز على إقناع الجزائريين بأنهم عاجزون عن تسيير شؤونهم المختلفة بأنفسهم، وبأنهم غير قادرين على صنع حضارة إلا بوجود الأجنبي معهم وهذا كله لتبرير وجود المستعمر الفرنسي في الجزائر وتحضيره لتقبله.

بل ووصل بهم الأمر؛ كما قال جمال حمدان في كتابه "استراتيجية الاستعمار والتحرر"[9] إلى حد تغيير أسماء الأشخاص وفرض أسماء فرنسية وأخرى غريبة لم يكن لها وجود قبل الاحتلال في قاموس الأسماء الجزائرية ، كما حرفوا أسماء المواقع والأماكن والمستشفيات والشوارع والأسواق والمقاهي[10].

ب-دراسة جغرافيا الأرض: استفاد المستشرقون مما كتبه العرب المسلمون عن الصحراء الجزائرية وغيرها من المناطق[11]؛ واستعانوا بها في معرفة الطرق الصحراوية التي تخترقها من الشمال إلى الجنوب، ومن الغرب إلى الشرق. فأنتج ذلك ظهور مؤلفات نشرها هؤلاء منها : كتاب إميل نموتيه "غزو الصحراء" الذي ركز فيه صاحبه على الفترة ما بين 1903- 1905. وبين فيه أهمية الصحراء الجزائرية ودورها في ربط المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا، ومثل هذه الدراسات هي التي ساهمت في إدخال الاستعمار إلى الصحراء الجزائرية، ومنها إلى باقي المناطق المجاورة كمالي والنيجر وتشاد ومن خلالها إلى وسط افريقيا وقربها ووصلوا إلى ديفوار ساحل الغابة والكونغو[12].

ت-دراسة تاريخ الأرض: وركز هؤلاء المستشرقون في هذا المجال في بحث ثلاثة أمور:

أولا: دراسة التراث العربي الإسلامي في الجزائر.

ثانيا: دراسة الفترة السابقة لفترة دخول الإسلام إلى الجزائر خاصة فترة العهد الروماني.

ثالثا: التعرف على البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري.

أولا: دراسة التراث العربي الإسلامي في الجزائر، وذلك لمعرفة أمرين:

1-أهمية الرسالة الإسلامية في الجزائر.

2-دراسة التراث العربي الإسلامي والبحث فيه عن الثغرات التي تخدم غاياتهم وأغراضهم:

ولأجل ذلك تم تسخير مجموعة مهمة من المستشرقين لإجراء بحوث ودراسات تحليلية لهذا التراث، وترجمته إلى اللغة الفرنسية، و القيام بنشره، ومن هؤلاء المستشرق البارون دوسلان الذي قام بتحقيق الجزء الخاص ببلاد البربر من كتاب العبر لابن خلدون، ونشره في جزأين تم ترجمته إلى اللغة الفرنسية، ونشره أيضا لكتاب "المغرب في ذكرى إفريقية والمغرب" لأبي عبيد البكري وترجمته إلى الفرنسية، كما تولى المستشرق فاقنون ترجمة عدد من النصوص الخاصة بتاريخ الموحدين والحفصيين للزركشي والنصوص المتعلقة بالمغرب في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ونشروه في الجزائر عام 1901[13].

ثانيا: دراسة الفترة السابقة للإسلام إلى الجزائر خاصة فترة العهد الروماني.

وأكثر ما اهتم به هؤلاء في دراساتهم التاريخية هو البحث عن الفترة السابقة لفترة دخول الإسلام إلى الجزائر خاصة فترة العهد الروماني، وذلك حتى يرسخوا في أذهان الجزائريين بأنهم قبل أن يصبحوا مسلمين كانوا مسيحيين، وحتى يثبتوا لهم بأن المسلمين لم يدخلوا فاتحين بل هم غزاة محتلين؛ والغرض من كل ذلك هو إقناعهم بالرجوع من جديد إلى حظيرة النصرانية ونبذ الإسلام، ولذلك يقول أحد الجنرالات الفرنسيين وهو الجنرال دوماس: "كلما تعمقنا في الحفر وجدنا تحت القشرة الإسلامية التي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تغطي البربريين رحيقا مسيحيا، وعند ذلك ندرك بأن القبائلي الذي كان في القديم مسيحيا لم يتحول كلية إلى دينه الجديد"[14]. واتجهوا في هذه الدراسة في اتجاهين:

الاتجاه الأول: الذي اعتبر الجزائر منطقة فراغ حضاري تفتقر إلى وجود شعب متماسك، وكيان واضح المعالم، فكانوا يقولون أن الجزائر أرض بدون سلطة ودولة، وأن فرنسا استولت على أرض ليست ملكا لأحد. متجاهلين في ذلك الوجود الجزائري و تاريخه وانتمائه العربي الإسلامي ووجود مجتمع جزائري واضح المعالم والخصائص؛ فالجزائر في نظرهم ما هي إلا رقعة جغرافية تعاقبت على حكمها سلسلة طويلة من الحكام الأجانب[15].

ولذلك كان اميل غوتجه[16] يطلق مصطلح "القرون الغامضة" على عهد الإمارات الإسلامية في الجزائر والمغرب من الفتح الإسلامي إلى مجيء العثمانيين في كتابه " ماضي إفريقيا الشمالية في القرون الغامضة".

ووقف كافيناك 180 1857 الذي كان حاكما عاما للجزائر خلال الفترة ما بين فيفري – أفريل 1884 ذات يوم أمام صليب من العهد الروماني منقوش على صخرة في مدينة موزاية غرب العاصمة – قائلا: "بما أنها - أي روما - قد حكمت هنا فما علينا إلا أن نواصل عملها"[17]. ومنه فهم يعملون على استرجاع التركة الضائعة، وما فقدوه من ممتلكات الإمبراطورية الرومانية،لذلك يجب العمل قدر المستطاع على إفراغ التاريخ الجزائري من محتواه الحقيقي، والعمل على حشوه بمحتوى غريب عنه وتبرير الوجود الفرنسي في الجزائر وتحضير العنصر الجزائري لتقبله.

أما الاتجاه الثاني:وقد رغب أصحابه في التعرف على الخصوصيات التاريخية لهذا الشعب، والتراث العربي الإسلامي، لتسهيل مهمة السيطرة عليه، وذلك بالبحث عن تراثه وجمعه ودراسته وتمحيصه وتقسيمه، وقد استعانوا بذلك ببعض الجزائريين، كمحمد الصالح بن العنتري الذي طلب منه الضابط مواسوني الذي عين على رأس المكتب العربي بمصلحة الشؤون العربية بقسنطينة في شهر أوت 1843م، وكان مستشرقا يحسن اللغة العربية وله رغبة واسعة في الاطلاع على ماضي قسنطينة في عهد الأتراك، فألف له كتاب (فريدة منسية في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها) الذي طبع عام 1846م وغيرها من الكتب. كما تم تسخير مجموعة مهمة من المستشرقين لإجراء بحوث ودراسات تحليلية لهذا التراث، وترجمته إلى اللغة الفرنسية وكل الدراسات التي صبغت بصبغة واحدة وهي التعرف على أشكال التنظيم الاجتماعي للمجتمع الجزائري، وعلاقة الأهالي بالدين الإسلامي، كل ذلك لأجل مد الإدارة الاستعمارية بالطرق المساعدة على إرساء الاحتلال[18].

وبذلك نلاحظ أنه رغم اختلاف هذين الاتجاهين في الطريقة، إلا أنه كان اختلافا في الشكل فقط، لكن الغاية واحدة وهو السعي إلى تدمير الخصوصيات المختلفة للشعب الجزائري وإعادة تشكيله على أسس جديدة تجعله مجتمعا خاضعا للسيطرة الفرنسية.

ثالثا:التعرف على البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري.

قام هؤلاء المستشرقون بدراسة التركيبة السكانية وتحليل البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري، والتطرق لمختلف القضايا المتعلقة بالشؤون الجزائرية من عادات وتقاليد وأنماط المعيشة عند السكان بمختلف مناطقهم، مع التركيز على التاريخ الإداري والاجتماعي والاقتصادي بهدف تغيير هيكلها السكاني وتسطير القوانين التي بفضلها ستحكم قبضتها عليها والعمل على تدمير تلك البنية، ذلك من خلال ما يلي:

2-التركيز على التحليل الانقسامي: عمل هؤلاء المستشرقون على تقسيم هذا المجتمع إلى تقسيمات متعددة منها:

أ- التقسيم العرقي: فتم تقسيم السكان إلى عرب وبربر وشاوية وطوارق ومزابيين وإلغاء كل الروابط التي تجمعهم إلا ما كان منها قائم على أساس الجهوية أو العروشية، وماعدا ذلك فهم في نظر هؤلاء عبارة عن خلية من الثنائيات المتضادة. وكل ذلك لإقناع الرأي العالمي بعدم وجود مجتمع جزائري موحد ومنه تبرير الوجود الفرنسي على هذه الأرض[19].

ب- خلق النعرات: ركزت بعض الدراسات الاستشراقية على مناطق معينة من الجزائر وذلك كمنطقة القبائل، دون بقية المناطق التي اهتموا بدراسة سكانها وعاداتهم وتقاليدهم ولهجتهم، وإظهارها ككيان منفصل عن باقي السكان لخلق النعرات، التي تمكن السلطة الاستعمارية من تسخيرها لأغراضها السياسية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الجزائر عن طريق إدماجها في المجتمع الفرنسي[20]. وأطلقت في سبيل الوصول لذلك صفات خاصة على سكان هذه المنطقة كالتسامح الديني وحب العمل والتفتح الفكري، لتجعلهم يتفوقون على باقي السكان الذين وصفوا بالتأخر والكسل والتعصب الديني وذلك لتقريبهم من الفرنسيين. ومن أهم الدراسات التي كتبت في ذلك كتاب "هانوتو" الذي سماه " بلاد القبائل وعادات سكانها" و الذي نشر في باريس سنة 1872م[21].

ج- تقسيمهم من حيث الإقامة: فقد تم تقسيم السكان إلى برانية ومقيمين وطارئين، وقسموا المقيمين إلى أهل ثراء وتجارة وإلى ذوي حرف وصنائع و عمل المستشرقون على تدعيم الطبقة الارستقراطية، والحفاظ على الأسلوب الذي كانت تتبعه السلطات العثمانية في تسيير شؤون الجزائريين، لذلك رأت ضرورة الاعتماد على بعض الأسر الجزائرية الكبيرة التي أعلنت لها فروض الولاء والطاعة، تلك الطبقة الإقطاعية التي لم تجد مفرا من أن تخدم السلطات الفرنسية حفاظا على مصالحها وممتلكاتها بعد أن غلبت على أمرها في الميدان، وما أغدقته عليهم فرنسا من الأموال والألقاب وما فرضته من الحماية لهم، كل ذلك للمساهمة في إخماد الثورات والانتفاضات، كاهتمام فرنسا بعائلة الفكون لأجل ضرب عائلة ابن باديس[22].

وعملت الإدارة الاستعمارية على تكوين نخبة جزائرية متشبعة بالثقافة الفرنسية وجلب بعض الشخصيات المثقفة بالثقافة العربية الإسلامية إلى جانب الإدارة الفرنسية بهدف تقديم خدمات مهمة لهذه الإدارة، وكل هذا يتم بإيعاز من بعض المستشرقين[23].

2-تدمير البنية الاقتصادية؛ وباعتبار أن الجزائر من أغنى الدول بثرواتها المختلفة، التي جعلتها مطمعا لكل مستعمر، حاول الفرنسيون وضع يدهم على مقدرات هذه البلاد، بالاستيلاء على الأراضي الفلاحية والمناطق الخصبة والثروات الباطنية، كما حاولت القضاء على الأوقاف ذلك المصدر الحيوي الذي يدل على القدرة الاقتصادية لقطاع كبير من الأملاك العقارية، والأراضي الزراعية و التعرف على النشاط الاقتصادي للمجتمع الجزائري. "ومحاولة استغلال أحكامه لفائدة التوسع الاستعماري ومشاريعه التعميرية خاصة، وأن الإدارة الفرنسية نظرت إلى الأوقاف العقارية على أنها أبرز العوائق التي حالت دون تطور الاستعمار الفرنسي في الجزائر، لأنه قائم على أساس مبدأ تشجيع انتقال الأملاك من أيدي الجزائريين إلى المعمرين وهو ما يتناقض مع التشريعات والقوانين المسيرة للأوقاف العقارية، وإلى جانب أن الوقف يتعارض مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الاستعمار، إذ أن الوقف في حد ذاته يشكل جهازا إداريا ووسيلة اقتصادية فعالة تحول دون المساس بالمقومات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية للجزائريين، وهذا ما دفع بأحد الدارسين إلى القول بأن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية، وتتنافى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر. وهو ما جعل الاستعمار الفرنسي يضع حدا لنمو أراضي الوقف، وعمل على تقليص مساحتها وإبطال الأحكام المتعلقة بها لفائدة المعمرين، إذ تمت تصفية أراضي الوقف بفعل سلسلة من المراسيم والقوانين التي نصت على رفع الحصانة عليها وإدخالها ميدان المعاملات العقارية الحرة"[24].

ومنه فقد كرست فرنسا مستشرقيها وجندتهم، ووفرت لهم كل الإمكانيات التي تسهل عملهم، في دراسة وتحليل وتحويل هذا الشعب عن دينه والتخلي عن تراثه وحضارته العربية الإسلامية، وإضعاف روح المقاومة الروحية والمعنوية فيه، والاستيلاء على أرضه ومقدراته، لكن الحمد لله؛ فقد فشلت فشلا ذريعا، إذ لم تزدهم كل تلك السبل إلا قوة ومقاومة وتمسكا بدينهم ومحافظة على شخصيتهم.

الفرع الثالث : دور المؤسسات الدينية في مقاومة هذه الأساليب

ورغم مختلف الوسائل المتخذة، لم تستطع فرنسا أن تكسر همم الشعب الجزائري رغم الظروف الصعبة التي كانوا يعيشونها، ورغم ما هدمته فرنسا من مساجد وما حولته منها، إلا أنه لم يتأثر بذلك إلا أصحاب النفوس الضعيفة التي سلمت أو استسلمت، أما أصحاب النفوس القوية، وتلك التي كونتها المؤسسات الدينية المتبقية، من خلال ما زرعت فيها من وعي بحقيقة هذا المستعمر، ورغم جبروت المؤسسات العسكرية والمدنية الفرنسية إلا أن المؤسسات الدينية المتبقية الخفية والعلنية كانت لها بالمرصاد تعلم الشعب القرآن واللغة العربية وتثبت فيها حماس المقاومة والتصدي لهذا المستعمر عن طريق الثورات التي كانت تتوالى بداية من مقاومة الأمير عبد القادر، وقبله والده محي الدين، في الغرب الجزائري، وكذلك مقاومة الحاج أحمد باي في قسنطينة، وغيرها من الثورات الأخرى التي ظلت متوالية حتى نهاية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[25]. وقد كان لعلماء الجزائر مواقف مع قضايا شعبهم، فلم يكونوا بعيدين عنها، كل منهم يقوم في بيئته بدوره سواء كانت أعمال فردية كجهود الشيخ العقبي وابن باديس في قسنطينة والبشير الإبراهيمي في سطيف وجهود علماء بني ميزاب أو جماعية كجمعية العلماء المسلمين فيما بعد. أو جماعية، إذ مع بداية القرن العشرين تشكلت جمعيات وأحزاب كل يعمل على شاكلته، بعضها ينشط في العمل السياسي والبعض الآخر في الإصلاح الشامل المعتمد على الخصوص على ميادين التربية والتعليم والصحافة والإرشاد والوعظ، على غرار جمعية العلماء المسلمين، وما قامت به من بناء مدارس حرة بأموالها الخاصة التي كان الشعب يتبرع بها التي كان لها دورا كبيرا في إعادة الحيوية لعناصر الهوية الوطنية من لغة ودين وتاريخ وتقاليد سليمة، عن طريق ما يلقى فيها من دروس وتربية ومحاضرات[26].

إضافة لتجذر هذا الدين في قلوب الجزائريين و تماسك لحمتهم، وفهم الشعب الجزائري حقيقة ما يروم إليه هذا المحتل الصليبي من خلال الوعي الذي كانت تنشره مختلف المؤسسات الدينية في أوساطهم.

المطلب الثاني: أهداف الاستشراق اليوم ووسائله البديلة والتصدي المؤسساتي له.

الفرع الأول: أهداف الاستشراق اليوم وأساليبه البديلة.

مع بداية العصر الحاضر، وحصول الدول العربية المستعمرة على استقلالها، غير الغرب من وسائلهم في ضرب الإسلام والمسلمين، وبعد أن كانوا يعملون على إيجاد كل الوسائل التي تساعدهم على احتلال الأرض للاستفادة من خيراتها، أصبحوا اليوم يعملون على الاستفادة من تلك الخيرات وهم قابعون في بلادهم ويتفرجون علينا من وراء البحر، ومن أبرز تلك الوسائل البديلة التي يستخدمها هؤلاء ما يلي:

أولا: الإرهاب وتشويه الدين.

مصطلح الإرهاب وما يحمله من مفاهيم مختلفة هو وسيلة من الوسائل الجديدة التي تستعملها الدول الغربية في ضرب الإسلام والمسلمين، ومحاولة فرض السيطرة عليهم.. وعبثا نحاول إيجاد تعريف اصطلاحي جامع مانع للإرهاب؛ لأنه وكما قالت الباحثة رقية عواشرية الصادقة في طرحها أن ذلك أمر مقصود إذ :"إن عدم التوصل إلى تعريف جامع للإرهاب هو أمر مدروس، أرادته الدول الكبرى لأنه في مصلحتها، تستخدمه كيفما تشاء وتوظفه في خدمة مصالحها ومصالح حلفائها، وهو ما يفسر تماطلها للدعوة لعقد اتفاقية دولية لتجريم الإرهاب في وقت كانت وسائل الإعلام المرئية تنقل صور بشعة وأصوات ضحايا يستغيثون من بقاع كثيرة ومنها الجزائر ولكن من غير مجيب، كما كان هذا الوضع في صالح الكيان الصهيوني ليستمر في توسيم أفعال المقاومة الفلسطينية بالإرهاب متجاهلا أن ما يمارسه في حق هذا الشعب الأعزل لأبلغ صور الإرهاب"[27]. وقد لجأ هؤلاء إلى هذه الأسلوب لتحقيق ثلاثة أهداف أوجزها فيما يلي:

الهدف الأول: هدف استراتيجي وهو الإطاحة بالدين الإسلامي وتفتيت الكيان الإسلامي للدول باتهامها بالإرهاب والعنف والتطرف؛ وذلك من خلال صراع الحضارات الذي نادت به تلك الدول؛ والعمل على كل ما يؤدي إلى تشويه هذا الدين الإسلامي والربط بينه وبين الإرهاب في هذا العصر الذي تطورت فيه وسائل الإعلام التي تصور كل عملية إرهابية بشعة وتنقلها على أنها من تنفيذ مسلم، وتبرزها على أنها صفة ملازمة للإسلام والمسلمين، فيعم الوصف كل مسلم معتنق لهذا الدين، فصار يُعرِفٌ الإسلام على أنه ذلك الغول الذي يجب الخوف والفرار منه، وحتى أصبح الظهور بمظهر الانتماء إلى هذا الدين يشكل مشكلة في بعض البلاد والأوساط الاجتماعية.

ولا ولن ننسى ومع الأسف! تلك المحاولات للربط بين الإرهاب والمواطن الجزائري؛ بحيث بدا هذا المواطن جرثومة معدية يجب التصدي لها أينما حلت، فكم عانى في المطارات وفي الدول العربية فضلا عن الغربية. فحاول المسلمون تقريب الصورة الصحيحة لهذا الدين وبأفكاره الداعية إلى السلام والتسامح والتعاون والتعايش والمحبة بين الناس بدءً ببيان استعمالات القرآن لهذا المصطلح، في الدلالة على الخوف الشديد من الله تعالى { وإياي فارهبون } البقرة 40، {ويدعوننا رغبا ورهبا}الأنبياء 90، أي طمعا وخوفا, أو الدعوة إلى العمل واتخاذ الوسائل اللازمة لرد العدو، و ذلك في ميدان الحرب وليس السلم، وغيرها من الاستعمالات المشروعة. وانتهاء ببيان أن الإسلام جرم الإرهاب (ونقصد العدوان وليس المقاومة)، وأوجد العلاج الناجع له وهو حد الحرابة، ما يُدحِض ادعاءات خصوم الإسلام وإلصاق صفة الإرهاب به وهو دين السلام ومحاربة العدوان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهدف الثاني: هدف مادي والمتمثل في الاستفادة التي تحصل لهذه الدول من وراء تصنيع الأسلحة المتنوعة وبيعها لكلا الطرفين المعتدي والمدافع.

الهدف الثالث: وهو استنزاف أموال وثروات الدول: وبدلا من أن تنفق تلك الأموال لتنمية المجتمعات، وتستغني هذه الدول وتكتفي ذاتيا، أصبحت تنفقها على الأجهزة الأمنية التي تعمل على استقدام الأسلحة المتطورة للمحافظة على أمنها وسلامتها أو تستخدمها في مكافحة الإرهاب. فالإرهاب هو أداة أو وسيلة جديدة سعت إليها تلك الدول لتحقيق أهداف إستراتيجية وسياسية، ومادية سواء كانت المواجهة داخلية، بين السلطة السياسية وجماعات معارضة لها، أو كانت المواجهة خارجية بين الدول.

ثانيا: استغلال الأوضاع العامة للمجتمع الجزائري، وسنتناول فيه عنصرين:

1-العمل على استغلال الظروف الاجتماعية.

الجزائر كغيرها من دول العالم الإسلامي ودول العالم الثالث تعاني بعض الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعدم تبنيها لسياسة واضحة في هذه المجالات؛ فتفشي الفقر والأمية والعنوسة والبطالة وتخلف المنظومة الصحية والتربوية، وضعف التنمية الاقتصادية، كلها مشاكل باتت تهدد المجتمع، وتؤثر بشكل أو بآخر على بنائه ورقيه، فنتج عن ذلك جرائم الجنوح والعنف واختفاء الأطفال والقتل والاغتصاب وتعاطي المخدرات وهجرة الشباب والعقول المفكرة .. مما يحاول أعداؤنا استغلاله واستهداف بلادنا به، والعمل على إشعال ثورات على غرار الربيع العربي المزيف لضرب استقرار البلاد والعباد.

2-العمل على استغلال الخلافات الفكرية والتوجهات السياسية

أ-العمل على فرض الخلاف المذهبي: بالتركيز على زرع الفرقة بين المذاهب الفقهية الموجودة بالجزائر، واستيراد مذاهب أخرى وفرضها وسط المجتمع؛ ومثاله استغلالهم لواقع المزابيين الذين كانوا في العهد العثماني يتمتعون بالحكم الذاتي، فعملوا على بلورة فكرة أنهم لن يسمحوا للمالكية بسياستهم، كل ذلك لزرع الفرقة بين أبناء الشعب الواحد، وهي فكرة استفادها المستشرقون من خلال الاطلاع على التراث التاريخي للجزائر وسكانها.

ب- العمل على فرض الخلاف العرقي: وهي نفس الوسيلة التي كانت تمارس في العهد الاستعماري ،بالتفرقة بين منطقة القبائل عن الجزائر وجعلها كيانا مستقلا.ونفس الأمر لمناطق بني ميزاب كما حدث في غرداية مند عامين، ومحاولة إشعال نار الفتن بين الأشقاء.ومحاولة استمالة الطوارق بفصلهم عن الشعب الجزائري وأن معظم سكانهم أفارقة بغية السيطرة عليهم والوصول إلى قلب افريقية، ولكن الطوارق وعلى رأسهم الشيخ أخاموخ قاوموا هذه الفكرة العرقية في العهد الاستعماري، ومازالوا يستميتون في الدفاع عن حدودنا اليوم. محاولة خلق أقليات داخل الوطن العزيز: يعمل الغرب على وسيلة جديدة وهي استقدام بعض الأشقاء الأفارقة، بحجة الظروف التي يعيشها هؤلاء في بلادهم، والهدف هو استعمالهم في المستقبل كورقة ضغط على الجزائر تحت مسمى انتهاك حقوق الإنسان.

ثالثا: دعم التيارات التفكيكية والهدامة.

والمعركة لازالت قائمة، وبعد أن غيرت تلك الدول اتجاهها من احتلال الأراضي والدور إلى احتلال الأفكار والعقول، وغيرت السلاح من ضرب الأجساد والقضاء على الحياة إلى ضرب القيم والقضاء على نور العقول، بتشويش الأفكار وضرب الثقافات والولاء والانتماء الأصيل للشعوب. والشعب الجزائري من الشعوب الإسلامية المستهدفة في وحدته بالعمل على تفرقته عن طريق بث النزاعات المختلفة. وبعد أن كانت بلادنا بلدا آمنا مطمئنا موحدا، بمعزل عن كل ما يفكك هذه الوحدة، بتنا اليوم نسمع بين الفينة والأخرى عن خروج من يدعو إلى حركة من الحركات أو طائفة من الطوائف المعروفة وغير المعروفة.

فمجتمعنا اليوم يواجه تيارات فكرية وعقدية مدمرة ومنحرفة، ساعد في انتشارها وسائل التواصل والإعلام المتعددة والمتطورة والموجهة في كثير من الأحيان، لتزود شبابنا في كل دقيقة بمعارف ذات أبعاد متنوعة، وتعمل على تشويش أفكارهم وبلبلتها والدعوة إلى تسليم أنفسهم للهوى والبعد عن الدين، وأصبح يشاهد ويسمع ويتواصل مع أناس من الأحمدية والكركية والشيعة وعبدة الشيطان والملحدين، ومحاولات تغريبية؛ فيتأثر بأفكارهم ولباسهم الذي لا يشبه اللباس، وبقصات شعورهم الغريبة عن ثقافته ودينه وأصبح شبابنا يظهر وكأنه تائه وسط هذه التيارات والثقافات المختلفة. وسنشير إلى بعض هذه التيارات الهدامة التي يحاول المستشرقون ومن يقف وراءهم توظيفها لضرب استقرار بلادنا بها فيما يلي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-التشيع: وكلنا نعرف ما يعنيه هذا المصطلح، فلا داعي لتعريفه، وأكتفي بالإشارة إلى محاولات هؤلاء إلى إيجاد مكان لهم في بلادنا وضرب مرجعيتنا العقدية، ولم يعلموا أنهم فشلوا في عهود ماضية في إيجاد ذلك المكان وخرجوا منها وهم صاغرون.

2-**الأحمدية (أو القاديانية):** وهي طائفة من الطوائف الضالة التي ظهرت في القرن التاسع عشر(1889م) في الهند، على يد المدعي الميرزا غلام أحمد القادياني، تدعو إلى إثبات أنه النبي الخاتم و المسيح المنتظر، لتعمل على نشر بعض العقائد الفاسدة والباطلة وتحاول الاستدلال عليها ببعض الأحاديث الواهية والمكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد حكم جميع العلماء على هذه الطائفة بالكفر بالاتفاق. وقد ظهر في السنوات الأخيرة أتباع لهذه الطائفة النكرة في الجزائر، التي تصدت لها السلطات الدينية والأمنية، لكن الغرب كما هي عادته يحشر أنفه في كل شيء بدعوى الدفاع عن حقوق الإنسان، وحماية الأقليات الدينية ووصفوا التصدي لمثل هذه الطوائف والتيارات بالحملات القمعية. فقد صرحت سارة ليا ويتسن، مديرة قسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في هيومنرايتسووتش: "..يُظهر اضطهاد أتباع الطائفة الأحمدية وخطاب الكراهية ضدهم من قبل الوزراء عدم تقبل ديانات الأقليات، سواء ادعت أنها طوائف مسلمة أم لا. وعلى السلطات أن تُفرج فورا عن محمد فالي والأحمديين الجزائريين الآخرين، وأن تكف عن مهاجمة هذه الأقلية المستضعفة"[28].

هذا المقال الذي يظهر تدخلا صارخا وخبثا غربيا في شؤون بلادنا ومواطنيها، بدعوى حماية الأقليات المضطهدة، ألا يعلم كاتبه أن مبادئ هذه الطائفة تمس أمرا معلوما من الدين بالضرورة، وهي كمستشرقة تعلم، العقيدة الصحيحة التي عليها جميع المسلمين ومنهم الجزائريين أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ولا نبي بعده ومنه اتفق جميع علمائنا بتكفير هذه الطائفة. مساجدنا وزوايانا، والمجلس الإسلامي الأعلى، وجمعية العلماء المسلمين، وقد كتب أحمد حماني رحمه الله قبل سنوات عن ضلال هذه الطائفة، أليس هذا القادياني والقاديانيين عملاء لبريطانيا، وهذا ما يؤكد أن سارة هذه تدافع عن طائفة أنشأها حلفاؤهم الذين يريدون بها ضرب ديننا وعقيدتنا. فالأحمديون تستغلهم "يد خارجية" تهدف إلى المساس باستقرار البلاد.

3-الكركرية: وهي طريقة من الطرق الصوفية التي جاءتنا من المغرب، والتي أسسها محمد فوزي الكركري المغربي المولود سنة 1974 في مدينة مسناك المغربية، تلك الطائفة التي يرتدي أصحابها أزياء غريبة أشبه ما تكون بهلوانية، وتقوم بزيارة القبور وتمارس طقوسا تعتمد على إقامة الحضرات الصوفية وإقامة بعض البدع والخزعبلات التي تتنافى مع العقيدة والمرجعية الدينية للجزائر. ومحاولة نشرها بالجزائر يضع أكثر من تساؤل، إذ لا يوجد لها أصل في الجزائر فهي تخدم حسب رأي بعضهم أجندة أجنبية، قد تكون من الكيان الصهيوني أو بعض الأنظمة العربية الموالية له ، وربما تتبنى مشاريع أوربية لضرب استقرار الجزائر. وهي بعيدة عن التصوف الحقيقي الذي لا يقبل منه إلا ما كان صافيا نقيا[29].

4-عبدة الشيطان: وهي حركة من الحركات الهدامة التي ظهرت في العصر الحاضر وبدأت في الانتشار وسط الشباب، وهي فرقة لا عقيدة لهم،فهم يحتقرون جميع الأديان بما فيها الدين الإسلامي والنصراني واليهودي، كما يحتقرون جميع المبادئ التي تحض على القيم والأخلاق الحميدة، ولا يؤمن هؤلاء بوجود شيء اسمه عائلة أو مجتمع أو حكومة أو دولة ولا يؤمنون بالأخلاق و القيم والمقاييس العائلية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل يعملون على نسفها وإزالتها لأنها تعد في نظرهم من العوائق والضغوطات، ويبحثون عن أشد الأمور شذوذاً وقذارة فيمارسونها اعتقاداً منهم أنها تقربهم إلى إبليس الشيطان. فكل شيء ملك للشيطان الأكبر الذي سوف يتحكم في العالم بعد قيام حرب عالمية ثالثة مدمرة.

ويتميز أفراد عبدة الشيطان بارتداء الملابس السوداء اعتقاداً منهم أنه اللون المفضل لدى قوى الشر، ويجتمعون في الليل وفي الأماكن المهجورة كالمقابر لممارسة الشذوذ بكل أنواعه، ويرددون بعض التراتيل، كما أنهم يتميزون بارتداء وتعليق بعض الرموز من أهمها: الصليب المقلوب و النجمة السداسية و الجمجمة ورمز الأفعى والهرم وتعبر هذه الرموز بشكل جلي عن أفكار هذه الجماعة الشاذة. و لكن الأفعى و الهرم من أهم شعاراتهم مطلقا، و خاصة الهرم ذو العين الواضحة الساطعة في الوسط[30].

الفرع الثاني: تصدي الجزائر بمؤسساتها المختلفة للوسائل المعاصرة للمستشرقين

وقبل البدء في ذلك أجيب عن سؤال قد يطرح : هل انقضى زمن الاستشراق ولم يعد له من دور في العصر الحالي؟ ما علاقته بالإرهاب والتيارات الفكرية والمذهبية المعاصرة؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رغم رواج فكرة انقضاء مهمة الاستشراق بانقضاء الاستعمار العسكري، وادعاء بعض المستشرقين بانتهاء زمنه عام 1975م .إلا أنني أؤيد مقوله الباحث عبد القادر بخوش في رد هذا الادعاء، لأن الاستشراق أفعى تغير جلدها في أي موضع أو زمن وجدت فيه، حتى تستطيع التأقلم وأداء مهامها الخبيثة، فهي تدعي الموت لكنها لم تمت. فالاستشراق لم ينته، ورغم تبادل الأدوار بين أوربا وأمريكا، وتسلم الأخيرة زعامة العالم "باعتبارها الوريث الجديد، حتى أخذت ظاهرة الاستعمار تأخذ لونا جديدا يتمثل في استبدال الاستعمار العسكري التقليدي بالاستعمار السياسي والاقتصادي، والذي يعمد إلى تحقيق الهيمنة السياسية والسيطرة على الموارد، مما حدا بأمريكا إلى احتضان الاستشراق وتطويره ليتماشى والمستجدات الجديدة" [31].

وهو ما أيده طرح الباحث المسيحي جورج كتورة بقوله: "لقد أضحى الاستشراق رديف مؤسسات حكومية وخاصة تعنى باستشراف المستقبل وتدبير الملوك مؤسسة شبه حكومية، أو عاملة عند المؤسسة الحكومية ، لمدها بالمعلومات، ولتطرح عليها تصورات معينة، قد يقال إن الاستشراق قد صار بذلك أشد خطرا من الماضي، ربما ولكنه تَحوُلٌ ينبغي إدراكه" [32].

ومعظم المستشرقين المعاصرين، اتجهوا إلى الحاضر الإسلامي- بحكم أن أسلافهم لم يتركوا لهم مجالا يذكر من دراسة التراث الإسلامي- من تغيرات تسترعي الانتباه، وأضحت مجالا للدرس والتحليل، في البرامج الإخبارية التحليلية، واستعان بهم المنفذون السياسيون والاقتصاديون في الحصول على معلومات، وبنيت على هذه التحليلات قرارات واستراتيجيات، ورسمت عليها الخطط، وحددت بموجبها المواقف[33].

ومنه أقول إن ظهور فكرة صراع أو حرب الحضارات ومقاومة الإرهاب وغيرها من المقولات والظواهر التي تظهر من حين لآخر، هي من تدبير المستشرقين ووجود يد لهم فيها، لأننا نعلم جيدا مهمة هؤلاء المستشرقين، وهي العمل بأي الوسائل على ضرب الدين الإسلامي والدول التي تعتنق هذا الدين وتشويه كل ما يتعلق بعقيدتهم وقيمهم وتفتيت كل كيان لا يقول نعم لأمريكا. إذ بعد انهيار المعسكر الشرقي عام 1989م صرح هنري كسنجر قائلا: "أنه لم يعد في القرن الواحد والعشرين من عدو لأمريكا سوى الإسلام"[34]

ومنه أقول: لقد بقي المخطط الماكر، وبقي الهدف الخبيث، وتغيرت الخطط والوسائل. فالمستشرقون هم من توكل لهم مهمة محاربة عدو أمريكا اليوم بطرح مختلف المواضيع أو تحليلها وفق ما يخلق النزعات الدينية أو العرقية أو العنصرية أو الاقليمية، والتركيز فيها على ما يفرق بدل ما يوحد، وإشعال نار الفتن والنزاعات.

قال محمود حمدي زقزوق: "الاستشراق كان ولا يزال جزء لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول أن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع. ولهذا فلا يجوز التقليل من شأنه بالنظر إليه على أنه قضية منفصلة عن باقي دوائر هذا الصراع الحضاري، فقد كان الاستشراق من غير شك أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة، وأن للاستشراق مكانته وتأثيره في تسيير سياسات غربية تجاه الإسلام، كما أنه مؤثر في النظر إلى الفكر الإسلامي الحديث... ثم قال: "والواقع الذي لا يمكن إنكاره هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجابا أو سلبا أردنا أو لم نرد"[35].

أولا: تصدي الجزائر بمؤسساتها المختلفة للإرهاب: سعت الدولة الجزائرية وحيدة دون معين في مجابهة الإرهاب، - إذ قد عانت الجزائر وحدها دون مساندة دولية، كما لم تلق آذانا صاغية من قبل أعضاء المجتمع الدولي- إلى تحليل للظاهرة ووصفها وتحديد مفهومها، حيث عرفت الأعمال الإرهابية بأنها: "كل فعل يستهدف أمن الدولة و الوحدة الوطنية و السلامة الترابية واستقرار المؤسسات وسيرها العادي، و ذلك عن طريق بث الرعب في أوساط السكان والاعتداء المعنوي أو الجسدي على الأشخاص وتعريض حياتهم للخطر، وعرقلة حركة المرور أو حرية التنقل في الطرق والتجمهر، والاعتداء على رموز الأمة والجمهورية و نبش القبور، إضافة إلى الاعتداء على وسائل المواصلات النقل والاستحواذ عليها من شأنها تعريض سلامة الإنسان أو الحيوان للخطر، وعرقلة عمل السلطات العمومية وسير المؤسسات أو الاعتداء على حياة أعوانها أو ممتلكاتهم أو عرقلة تطبيق القوانين و التنظيمات" [36].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووضعت الصيغ العلاجية والوقائية والإطار القانوني والعقابي إضافة إلى المصالحة الوطنية للقضاء على هذه الظاهرة التي أرهقت الدولة والمواطن، وحاولت علاج آثارها الكبيرة على البلاد والعباد، إذ قد ضاع على بلادنا عشرية كاملة كانت ستساهم في علاج اقتصادنا وأحوالنا الاجتماعية وحتى السياسية. وساهمت المؤسسات الدينية كغيرها من مؤسسات المجتمع المدني في احتواء الأزمة، وأداء الدور اللازم في التفاعل المجتمعي، وكما حافظ المسجد على الوحدة الوطنية وخدمة القيم الدينية والاجتماعية إبان الاستعمار، فمازال إلى اليوم يؤدي دوره الذي لم يمح ولم ينقص.

فقد قامت المؤسسات الدينية جميعها الرسمية والخيرية بتوجيه الناس وتوعيتهم بخطورة الإرهاب، من خلال بيان مفهوم الجهاد وحقيقته الشرعية وضرورة الوقوف صفا واحدا في مواجهته، وبيان وسطية الإسلام وبعده عن الغلو والتطرف والاعتداء على الناس، وتنظيم ندوات ومحاضرات علمية ولقاءات عامة وخاصة، ودعوة غير المسلمين إلى تلك المحاضرات واللقاءات، لإلقاء الضوء على سماحة الإسلام ويسره.

ثانيا : تصدي مؤسسات الدولة للظواهر والتيارات المختلفة

وأما بالنسبة لبقية الظواهر والتيارات، فإني أقترح بعض العلاجات التي تشترك فيها جميع المؤسسات والمؤسسة لدينية واحدة منها ويمكن تلخيص تلك الأدوار فيما يلي:

1-المسؤولية الوقائية: وتقع على عاتق الخبراء الذين يسطرون السبل الكفيلة للتصدي لهذه الظواهر، كما تقع على المسئولين بالعمل على التقليل من الأسباب المؤدية لمثل هذه الظواهر خاصة الأسباب الاجتماعية، فيجب على الدولة أن تؤوي هذا المواطن وتحوي إشكالاته وتحقق حاجاته بتوفير مناصب الشغل وإيجاد فضاءات الترفيه والتفريغ وملء الفراغ بالمفيد النافع، حتى يشعر بالانتماء لهذا الوطن، فيستميت بحياته لأجل بلاده ويتصدى لما يحدق بها من مخاطر.

2-المسؤولية التوعوية: وتقع على عاتق المؤسسات الدينية والتعليمية والإعلامية، بالتحسيس بمخاطر مثل هذه الظواهر وآثارها الآنية والمستقبلية فالمؤسسات الدينية من خلال منابرها، تقوم بما يلي:

أ-الدور التعليمي المنوط بها: من تربية وتعليم للمكلفين ومحو للأمية، وتخريج قوافل من حفاظ كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والإجابة عن التساؤلات عن طريق الفتاوى.

[- **الدور التوجيهي المؤثر:**من خلال إلقاء الدروس والخطب؛ وتقديم النصيحة ومعالجة قضايا المجتمع ومشاكله ومخالطة عناصر المجتمع . ومنه فلا نقصر دوره على أداء الصلوات الخمس والجمعة فحسب، إن دوره أكبر من ذلك، ورسالته مهمة في تحمل هذه المسؤولية، إن لم يكن الوحيد المخول بتحملها لما له من تأثير في أوساط المجتمع. فمهامه اليوم عديدة ومنها:

- نقل الخطاب المسجدي إلى مواقع التواصل الاجتماعي والتحاور مع رواده من الشباب والعمل على كسب ثقتهم وإرشادهم بصدق ومحبة وتحصينهم بجرعات مناعية تقيهم من العدوى وتمكنهم من التصدي لمثل هذه السهام المسمومة.

- بث رسائله التوجيهية وتحسيس الشباب خاصة بالأخطار الموجهة لصدهم عما ينفعهم وينفع أوطانهم. وللوقوف في وجه الغزو الثقافي الذي يحاول طمس الهوية الإسلامية من ناحية، والإساءة إلى الشريعة الإسلامية وربطها بالإرهاب، ونشر العديد من المفاهيم الخاطئة ضد الإسلام ومبادئه من ناحية أخرى...

- تصحيح التصورات الخاطئة والمعتقدات الفاسدة.

- العمل على صيانة الروابط الاجتماعية، بالتذكير بالنصوص الشرعية التي تؤكد هذه المعاني وتعمل على محاربة العوامل التي تهدد تماسكها وترابطها. وتقود إلى الشقاق والمنازعات والعداوة والبغضاء، مما يعرض الأمن العام للخطر.

- التعاون بين هيئات و فئات المجتمع في التصدي لمختلف المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية و..

وعلى المؤسسات التعليمية: ورجال التعليم، مسئولية تعليم النشء وتربيتهم، وتعريفهم بمحاسن التزود بسلاح العلم في العمل على التمكين، وتوعيتهم بمفاسد الانحراف الفكري، وما ينتج عنه من انحراف في السلوك والتصرفات التي تضر بالمصالح العامة للناس. ولا ننسى مؤسسات الإعلام ورجاله وأهميتهم في القيام بالتوعية الإعلامية، وتحري الدقة في النقل، والعرض والتحليل لكل ما يتم عرضه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-المسؤولية العلاجية: وتقع على الهيئات الأمنية والهيئات المتخصصة من خبراء و.. ومهمتهم التعرف على أسباب هذه الظواهر و إيجاد السبل المناسبة لمعالجتها والحد منها، بمختلف الوسائل التي تمكن من الحفاظ على أمن البلاد وسلامة هويتها وشخصيتها.

خاتمة:

نخلص في هذا البحث إلى أن الاستشراق هو الجناح الفكري للاستعمار، صاحبه في احتلال البلاد؛ مهد له الأرضية وسطر البرامج، ووضع خارطة الطريق حتى يستطيع إحكام سيطرته على هذه البلاد. وعرف نقاط الضعف والقوة، فحارب نقاط القوة، واستخدم نقاط الضعف، فحارب الدين بكل السبل للقضاء عليه بالهدم تارة ومحاولة التنصير تارة أخرى، واستغلاله في كثير من المرات، كما حارب اللغة العربية، وتفكيك كافة الروابط التي تربط بين الجزائريين. ورغم كل أنواع السلاح التي استخدمتها فرنسا، استطاع هذا الشعب تخطي العقبات وتذليل الصعوبات، فتجاوز المحن والإحن، بثورة جزائرية هندستها عقول عبقرية مثقفة واعية متمسكة بالله وبدينه، ومستعينة بقوته وجنوده، و إخلاصهم للوطن الذي زرع الثقة والأمان في نفوس الشعب فاحتضن ثورته بنفسه وماله، والحمد لله فقد كان الجيل الذي فتح عينيه على الاحتلال وثقافته، وعانى منه أكثر من غيره، كان هو الجيل الذي هزم فرنسا وحرر وطنه بعد أن كانت تعتقد أنها باقية في الجزائر للأبد.

لكن ذلك المستعمر غادر ديارنا بجسمه وعتاده، لكنه لم يغادرها بأغراضه وطموحاته، فغير هو وذلك المستشرق الذي كان يعينه جلدهما، ليظهرا في صورة الصديق الموالي وقلب العدو الحاقد، وليبقي على نفس أهدافه، ويغير من سلاحه وخططه فها هو يحاربنا مرة بالإرهاب، ومرة بمختلف التيارات الفكرية والمذهبية، ومرة أخرى يتصيد ظروفنا الاجتماعية ومرات أخر ب ؟؟؟ والمعركة اليوم ليست كالأمس، لذلك نوصي اليوم ونقول:

إن المؤامرات التي تحاك اليوم بالجزائر بحاجة إلى التمسك أولا بحبل الله المتين، واستغلال نفس العقول والمهندسين من شباب هذه البلاد، ونفس العزائم، لأن الجزائر التي أنجبت بن بولعيد وبن مهيدي وابن باديس والإبراهيمي....تستطيع إنجاب أمثالهم وخيرا منهم، فقوتنا في شبابنا الذي هو بحاجة إلى أن نضع فيه الثقة، وقبل ذلك أن يتلمس هو (الشاب) ذلك الإخلاص والصدق لهذا الوطن فيمن يتولى أمره حتى يكون كذلك. ولا ننكر أنه قد أصبح لدى المواطن الجزائري اليوم والحمد لله مناعة خاصة بما يمكن أن يمس استقرار بلاده، إذ قد وعى الدرس جيدا، وعلم ما يحاك ببلده، فهو يسعى جاهدا وصابرا يتحمل ما يعانيه من ظروف مختلفة، على أن يسمح بأن يعيش الأزمة مرة ثانية جراء ما عاناه منها. وكما لقن فرنسا الدرس وجرعها خيبة أمل كبيرة بقيام ثورة التحرير، التي عبر فيها الشعب الجزائري بكل أبنائه بضرورة التحرر وطرد المستعمر شر طردة، فهو اليوم يكافح من أجل جزائر العزة والكرامة. لذلك يجب أن نعمل علينا بمكافئته:

- ببعث الأمل في نفوس هؤلاء الشباب، بتحسين المستوى الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي لهم حتى لا يتم استغلال ظروفه إذا نفذ صبره.

-نشر الوعي والثقافة حول ضرورة التكاتف والالتحام حتى نفشل مشروع هؤلاء وأهدافهم في ضرب الوحدة الوطنية ومقوماتها.

وجوب بذل المزيد من الجهود على كل المؤسسات الدينية منها وغيرها وضرورة القيام بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاه كل هذه الظواهر.

-مطالبة الجهات الرسمية بالحزم تجاه محاربة هذه الأفكار المنحرفة ومنعها والتضييق عليها بكل السبل المشروعة.

الهوامش:

[1] -goyau: un grand missionnaire le cardinale lavigerie(paris,1925),p74,75. نقلا عن إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي، دار هومة ، د.ط/ 2013، ص168، 210. المجلة الإفريقية الصادرة سنة1862م، ص161.

[2] -وهي المعاهدة التي وقعت بين الحاكم الجزائري الداي حسين، وقائد الحملة الفرنسية على الجزائر الكونت دي بورمون في 5 جويلية 1830. والتي تعهد فيها القائد الفرنسي بأنه سيحترم الدين الإسلامي، ويظل العمل به كما في السابق رغم التناقض الواضح بين ذلك وبين ما قاله وأعلنه للقساوسة ورجال الدين الذين أحضرهم معه من فرنسا والمقدر عددهم بـ 16 قسيسا " إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، ولنأمل أن تينع الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع" ،وما أعلنه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملك شارل العاشر عند افتتاحه لجلسات البرلمان الفرنسي في 2 مارس 1830 من أن الجملة المقرر شنها على الجزائر تهدف أساسا إلى:" أن أجعل المسيحية تنتصر بكل قوة". المجلة الإفريقية الصادرة سنة1862م، ص156،147.

[3]-المستشرق دي ساسي: (1758- 1838م) هو من كبار المستشرقين الفرنسيين العارفين بشؤون الإسلام والمسلمين، كان يشغل منصب المستشرق المهتم بوزارة الخارجية الفرنسية منذ عام 1805م، وكان يستشار بانتظام في كثير المسائل المتعلقة بالشرق من قبل وزارة الحربية، انتخب رئيسا للجمعية الأسيوية عام 1822م، ألف في الدروز وعني بهم، لقب بالبارون (الحاكم) سنة 1813 جزاء لجهوده وخدماته ، وهو الذي صحب نابليون في حملته على مصر، وكان يشغل منصب المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية منذ 1806م، وكان يترجم نشرات الجيش الفرنسي. موسوعة المستشرقين ص229

[4]-وإن كان بعض الباحثين يرى أن هذا البيان كتب أصلا باللغة العربية إذ كلف قائد الحملة الكونت دي بورمون العقيد تونير TOUNERRE بكتابة البيان باللغة العربية على أساس أنه يتقن اللغة العربية ومعرفته بالجزائر من خلال اتصالاته الدائمة بالسواح والدبلوماسيين الأجانب الذين زودوه بمعلومات مهمة عن الأرض الجزائرية وسكانها، وعندما انتهى تونير من كتابة البيان سلمه للمستشرق دني ساسي الذي صاغه باللهجة العربية الجزائرية .

[5]-الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، الجزائر،2004م،ص90 وما بعدها. خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر1830-1871،ص17وما بعدها ، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الآداب سنة 1982.وإبراهيم لونيسي: بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، الجزائر، ص156،147.

[6]-أنظر ابراهيم لونيسي: بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي ص 218 وما بعدها، والاستشراق الفرنسي ص98.ومثاله ذلك التقرير الذي كتبه الجنرال دوكرو إلى نابليون الثالث عام 1864 جاء فيه: "يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا.. وبعبارة أخرى يجب أن يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا". إوقال الدوق دومال الذي تولى إدارة شؤون الحكومة العامة الفرنسية في الجزائر (من جوان 1847- فبراير 1848) : "فتح مدرسة فرنسية في أوساط الأهالي تعادل معركة عسكرية من أجل استتباب الأمن والاستقرار في الجزائر، كما أنه في وسعها تحقيق القناعة في أوساطهم بمشروعية الاحتلال وتعزيز سيادة المستعمر" .

[7] - الطيب بن ابراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دارالمنابع،الجزائر،2004م، ص98.

[8] - ومنه ما قاله الكاتب الفرنسي جوبنيو: "إن بعض العناصر خلق للسيادة، وبعضها خلق للخضوع ،" ويقول اليونان وعلى رأسهم أرسطو كل ما وراء أثينا بربر"، وكلمة البربر تطلق على الأجنبي غير المتحضر. أنظر :مصطفى حميداتو، نظرية التفوق العرقي عند المستشرقين مقال منشور بمجلة الإحياء العدد السابع،2003، ص148.

[9]-أنظر جمال حمدان :إستراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق، بيروت، ط1/1403هـ-1983م، ص 241.

[10] - أنظر جمال حمدان: إستراتيجية الاستعمار والتحرير،،والطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي ص98.

[11]-كابن طفيل والإدريسي وابن بطوطة وحسين الوزان

[12]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 246/1،245، الاستشراق الفرنسي ص98، وبحوث في التاريخ الاجتماعي ص159.

[13]- الطيب بن ابراهيم: الاستشراق الفرنسي ص98، و إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي ص161.

[14]- goyau: un grand missionnaire le cardinalelavigerie(paris,1925),p74,75. نقلا عن إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي ص161.

[15]-إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي ص161 بتصرف.

[16] - إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي ص161بتصرف.

[17] - إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي ص161 بتصرف.

[18] -المرجع السابق ص165، الاستشراق الفرنسي، ص98، بتصرف

[19] - إبراهيم لونيسي ، بحوث في التاريخ الاجتماعي. ص 188، بتصرف

[20] -إبراهيم لونيسي ، بحوث في التاريخ الاجتماعي، ص 188 بتصرف

[21] - إبراهيم لونيسي ، بحوث في التاريخ الاجتماعي، ص 188 بتصرف

[22]-وقد عملت الإدارة الاستعمارية في الجزائر على تكريس هذه الجهوية والقبلية قانونيا عندما أصدر رئيس الجمهورية لويس نابليون في بداية سنة 1850 مرسوما خاصا ينظم به حياة الأشخاص الوافدين من الأعراش والقرى المختلفة على عمالة الجزائر ومدنها المختلفة خاصة وعمالتي وهران وقسنطينة عامة بحجة كثرة الوافدين من شتى أنحاء القطر على هذه العمالات وخاصة الجزائر.

وبمقتضى هذا المرسوم نقرر تتبع كل (الغرباء) الوافدين على عمالة الجزائر ومدنها أو العمالات الأخرى ومدنها، وهؤلاء الغرباء هم الوافدون من النواحي المختلفة مثل منطقة القبائل والمناطق الصحراوية كبسكرة وبني مزاب والأغواط وغيرها، والعمل على تنظيمهم في مجموعات حسب المناطق التي ينتمون إليها، ولكل جماعة أمين عام يجب أن يتصل به كل وافد جديد ليسجل اسمه عنده وتسلم له بطاقة الإقامة وكل من يرفض هذا الإجراء تفرض عليه غرامة مالية تتراوح ما بين فرنك وخمسة عشر فرنكا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[23]-إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي، ص198.
[24] -أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي1 /249،248، والمراجع السابقة
[25] - ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين ط1دار البعث قسنطينة (الجزائر)1400ه/1980م، نقلا عن محمد العيد تاورتة، إسهامات جمعية العلماء للإعداد لثورة نوفمبر، مقال منشور بمجلة الإحياء، المعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الإسلامية، باتنة، العدد الأول 1419ه-1998م،ص216.
[26] - المرجع السابق ص218 وما بعدها.
[27]-رقية عواشرية: الأمن الدولي وتحديات ظاهرة الإرهاب مجلة الإحياء ، كلية العلوم الإسلامية ،باتنة ، العدد السادس ، عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي الثاني الإسلام وقضايا العصر، أكتوبر2002، ص 361.
[28] -صحيفة هيومن رايس ووتشwww.maghrebvoices.com/a/Algeria-ahmadiyya
[29] - ملخص عن محتوى بعض المقالات والحوارات الصحفية والتلفزية كتلفزيون النهار والشروق
[30] - سعد بن عبد الله الحميد، ملخص بحث عبدة الشيطان وخطرهم على شباب الأمة، شبكة الألوكةwww.alukah.net/publications يوم 2013/5/16، مقال بعنوان: عبدة الشيطان المعاصرون، التعريف والأفكار ...
www.islamweb.net/media/index
[31]- عبدالقادر بخوش: دور الاستشراق في تأزم العلاقة بين الشرق والغرب، مقال منشور بمجلة الإحياء، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، العدد الثامن /1425ه/2004م،ص 407،406.
[32] - نقلا عن عبد القادر بخوش ، دور الاستشراق في تأزم العلاقة بين الشرق والغرب ص406.
[33] -علي بن إبراهيم النملة، كنه الاستشراق –المفهوم –الأهداف –الارتباطات، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،ط1432/3هـ،2011م، ص 238،237،236.
[34] -محمد لعقاب: الصليبية الأمريكية وعهد حرب الحضارات، دار هومة، الجزائر،ط2007/1، ص 7
[35]-محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدوحة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية،قطر، د.ط.1405ه ضمن كتاب سلسلة الأمة ص14، نقلا عن علي بن إبراهيم النملة، كنه الاستشراق المفهوم – الأهداف –الارتباطات مكتبة الملك فهد ،الرياض، ط2011/3،ص252.
[36]-القسم الرابع مكرر من قانون العقوبات الجزائري تحت عنوان الجرائم الموصوفة بأفعال إرهابية أو تخريبية ضمن المادة 87 مكرر فقرة 03.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com